القرآن الكريم ووحدة الدين

الأستاذ الدكتور

فوزي عبد العظيم رسلان قمر

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

الأقصى للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، شهادة عليها نحيا وعليها نموت ، وعليها وبها نلقى الله تبارك وتعالى اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه وسار على نهجه ودربه إلى يـوم الدين .

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (١) .

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (٢) .

وبعـــد

فلقد جاء القرآن الكريم هادياً ومعلماً ومرشداً ومظهراً ما خفي عن الخلق من حقائق ، ومن الحقائق الجلية التي أعلنها ، ولا يستطيع أحد إنكارها ، أن الله – عز وجل – لم يشهد أحداً من خلقه خلق هذا الكون الذي أوجده فيه ، ودليل ذلك أنه لم يشهده خلق نفسه ، وقرر ذلك فقال سبحانه : ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (٣) ، كما بين سبحانه حقيقة أحدية ألوهيته ، فقال جلّ شأنه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۞ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٤) ، ولتأكيد أحدية الألوهية مع عدم شهادة أحد من الخلق خلق نفسه ، ولا خلق هذا الكون ، أمره بالتوجه إليه من خلال فطرته الإيجابية مع الدين الواحد ، الذي لا يعرف الفرقة ، ولا الاختلاف ، ولا التعددية ، وذلك من خلال قوله سبحانه : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٨) .
(٢) سورة الكهف : الآية (١٠) .
(٣) سورة الكهف : الآية (٥١) .
(٤) سورة الأنبياء : الآيات (٢٢- ٢٥) .

الذينَ فرّقوا دينَهم وكانوا شيعًا كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحونَ﴾ (١) ، وقال سبحانه مبيناً لحبيبه النبي الخاتم سيدنا محمد (ﷺ) ولكل من اتبع هديه منهج نبيه المتبع الذي سار عليه : ﴿إنّ الذينَ فرّقوا دينَهم وكانوا شيعًا لستَ منهم في شيءٍ إنما أمرُهم إلى اللهِ ثم ينبّئهم بما كانوا يفعلونَ ۝ مَن جاءَ بالحسنةِ فلهُ عشرُ أمثالِها ومَن جاءَ بالسيئةِ فلا يُجزى إلا مثلَها وهم لا يُظلمونَ ۝ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيمٍ دينًا قيمًا ملةَ إبراهيمَ حنيفًا وما كانَ منَ المشركينَ﴾ (٢) وقد بين ذلك المولى – عز وجل – حينما واجه الجاحدين المكابرين المضلين ، ورد عليهم زعمهم وما قالوه في حق القرآن الكريم مظهراً حقيقة النبي الخاتم (ﷺ) وما أيده الله – تعالى – به من آية باقية ببقاء الزمن ، فقال جل شأنه : ﴿أم يقولونَ افتراهُ قل إنِ افتريتُهُ فلا تملكونَ لي منَ اللهِ شيئًا هوَ أعلمُ بما تُفيضونَ فيهِ كفى بهِ شهيدًا بيني وبينَكم وهوَ الغفورُ الرحيمُ ۝ قل ما كنتُ بدعًا منَ الرسلِ وما أدري ما يُفعلُ بي ولا بكم إن أتّبعُ إلا ما يُوحى إليَّ وما أنا إلا نذيرٌ مبينٌ﴾ (٣) لقد جاء القرآن الكريم مقرراً وحدانية الله – تعالى – من خلال الدين الذي ارتضاه للأنبياء جميعاً ، وهذا أصل من أصول توحيد العالم كله ، والبعد عن الشقاق والاختلاف ، قال تعالى : ﴿ هوَ سمّاكمُ المسلمينَ من قبلُ وفي هذا ليكونَ الرسولُ شهيدًا عليكم وتكونوا شهداءَ على الناسِ﴾ (٤) ، بذلك جاء القرآن الكريم مظهراً حقيقة الرسالات الإلهية والدعوة من خلالها فأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وردهم عما ارتكسوا فيه من اتباع وانحراف في العقيدة ، والعبودية ، وفساد في الخلق والسلوك ، جاء مجددا دعوة بعد دعوة ، ورسالة بعد رسالة ، حتى كانت دعوة النبي الخاتم سيدنا محمد (ﷺ) مجددة الدعوة إلى الدين الحق للناس جميعاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ..

فالرسول (ﷺ) من خلال دعوته لم يكن بدعاً من الرسل ، فلقد سبقت دعوته دعوات ورسالات ، جاء دعوته (ﷺ) مؤيدة لها معترفة بجميع الرسل وبما أنزل عليهم من كتب إلهية ، بذلك كانت دعوته (ﷺ) إضافة جديدة ، ومنهجا له ذاتيته الخاصة ، فقد بلغت آثاره الآفاق ، وما يزال أثره واضحاً على جميع الأقطار التي لم تعتنقه ، ذلك أنه جاء موافقاً للفطرة الإلهية في الإنسان ، متجاوبا معه أينما كان وحيثما حل ......

والقرآن الكريم أصل الرسالة الخاتمة ، قد جاء متمماً للرسالات الإلهية السابقة ، ومصدقاً لها ، تولى الله – تعالى – حفظه ، وتحدى به الثقلين – الإنس

---

(١) سورة الروم : الآيات (٣٠ – ٣٢)
(٢) سورة الأنعام : الآيات (١٥٩ – ١٦١) .
(٣) سورة الأحقاف : الآيتان (٨ ، ٩) .
(٤) سورة الحج : الآية (٢٥٦) .

والجن – هذا التحدي باق إلى يوم القيامة ، خاطب الله من خلاله العالمين جميعا ، لا العرب وحدهم ، وألزمهم بتتبع ما جاء فيه ... وفي هذه الدراسة محاولة لبيان وحدة الدين الإلهي وعدم تعدده ، وأنه فطرة إلهية ، تأتلف به الفطر السوية التي لم تتأثر بشيء وأنه ضرورة اجتماعية به تتوحد الأمة وتتآلف ، لا يعادي أحدا وإن لم يؤمن به ، وإلا فكيف ينتشر ، وقد قال الله تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (١) ، وقال تعالى مخاطباً نبيه الخاتم (ﷺ) : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (٢) جاء موحداً لدعوات الرسل السابقين ، مبيناً الوجهة الحقة ، والأصول الثابتة التي أتت بها ، ودليل ذلك القرآن الكريم الذي هو أصل هذا الدين ، والفطرة السوية المعدة لاستقبال هذا الدين ، وإلا فما فائدة الرسل ، وإنزال الكتب الإلهية ، إنها إحياء وبعث للوجود الإنساني ، وتذكير بعد غفلة عارضة زائلة ، لقد جاء القرآن الكريم منكرا الجميع من خلال هذا النداء الإلهي لكل السابقين واللاحقين من أهل الكتاب الإلهي ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣) ، كما جاء الخطاب بالأمر لغيرهم ، حيث أمر الله الرسول (ﷺ) بقوله : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٤) .

لقد جاء القرآن الكريم مؤيدا لما تقدمه من الكتب المنزلة ، والشرائع المتقدمة ، معلناً تصديقها والإيمان بها ، وبجميع رسل الله الكرام ، شاهدا لهم بأنهم أدوا الأمانة ، وبلغوا الرسالة إلى أممهم ، وأنه لزم كل مسلم أن يصدق هذا ويؤمن به ، لأن القرآن الكريم لم يأت بنسخ أصول الدعوات والرسالات الإلهية السابقة ، إذ الدين واحد ، والله – عز وجل – واحد ، والغرض من الرسالات الإلهية السابقة واحد ، ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (٥) ولقد جاء القرآن الكريم هادياً ، ومذكراً ، مرشداً ، ومبيناً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٦) .

أسأل الله تعالى التوفيق والرشاد ، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢٥٦) .
(٢) سورة الغاشية : الآيتان (٢١ –٢٢) .
(٣) سورة آل عمران : الآية (٦٤) .
(٤) سورة الأعراف : الاية (١٥٨) .
(٥) سورة البينة : الآية (٤) .
(٦) سورة الإسراء : الآية (٩) .

القــــرآن
لفـــظه .... ومعــــناه

(القرآن) – هذا اللفظ – الذي صار (علما) على هذا الكتاب الكريم الخاتم لكل الكتب الإلهية السابقة ، والذي حمل شريعة الإسلام دين الله الواحد ، الذي لا تبديل فيه ولا تغيير ، وهو الكتاب المحفوظ الذي تولى الله حفظه ، ليتم البلاغ وتنتفي الحجية ، ولا يكن لأحد فضل ، إذ الفضل يرجع إلى الله – تعالى – فهو الحافظ له .

معنى قرآن :

قال قتادة : القرآن معناه التأليف ... يقال : قرأ الرجل إذا جمع وألف قولاً ، وبهذا فسر قتادة : "إن علينا جمعه وقرآنه" (1) أي تأليفه .

وقيل : القرآن مصدر من قولك قرأ الرجل إذا تلا ، يقال : قرأ يقرأ قرآه ، وقراءة ...... (2) هذا بيان مأخذه في اللغة ، والذي نميل إليه أن القرآن مصدر للفعل قرأ قراءة وقرآناً ، أي حرك لسانه بالكلام .....وقد كان أول ما نزل على الرسول (ﷺ) من القرآن قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (3) ، وهذه التسمية أولَى ، لأنها أول كلمة نزلت من القرآن ، فناسب أن تكون عنواناً له ....

أما تعريفه اصطلاحاً : فقد ذكر العلماء تعريفات كثيرة تختلف حسب المعرفين من أصوليين ومتكلمين وغيرهم ، والذي نختاره في تعريفه ... أنه كلام الله المنزل على سيدنا محمد (ﷺ) للإعجاز .

فكلام الله – تعالى – كالجنس في التعريف يشمل كل كلام أوحي به وذلك كالزبور ، والتوراة ، والإنجيل ، وغير ذلك من صحف إبراهيم (عليه السلام) ، والمنزل على سيدنا محمد (ﷺ) للإعجاز بذلك تعين المقصود بالتعريف وهو القرآن الكريم المجموع بين الدفتين من أول الفاتحة إلى آخر الناس ، وخرج بهذا التعريف جميع الكتب الإلهية السابقة ، إذ لم يلحقها الإعجاز .... والإعجاز هو إلحاق العجز بمن تحداهم القرآن الكريم ، ونقول : هذا التحدي قائم إلى قيام الساعة ، لقد تحدى القرآن الكريم أن يأتوا بمثله في مثل قوله تعالى : ﴿فَلْيَأْتُوا

---

(1) سورة القيامة : الآية (17) .
(2) لسان العرب : لابن منظور – مادة قرأ .
(3) سورة العلق : الآيات (1 – 3) .

بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ (١) ثم قال القدر المطلوب ، فقال ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ (٢) ، ثم قال في النهاية قاطعاً بالعجز فقال : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ۞ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ (٣) .... فالقرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله – عز وجل – متعبد بتلاوته ، باق إلى قيام الساعة .... إذ هو معجزة النبي الخاتم (ﷺ) وسر ديمومية الرسالة الخاتمة الباقية ببقاء الزمان والمكان ... معجزة النضج ، والرشاد ، والكمال العقلي ..... ولقد أكدت الشواهد على حفظه من التحريف والتبديل والتغيير .... فتاريخه يؤكد ذلك .... فقد كان (ﷺ) يملي على أصحابه ما ينزل عليه من آيات القرآن الكريم ، وأن أصحابه قد تلقوا ما نزل من الوحي فحفظوه .

ثانياً : كان النبي (ﷺ) يقرأ ما نزل عليه من القرآن في الصلاة المكتوبة والنوافل بالليل والنهار ، كما كان جبريل يدراسه القرآن كل عام .

ثالثاً : أن الله – عز وجل – تعهد بحفظه من التغيير والتحريف والتبديل ، فقال عز شأنه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (٤) ، وقال سبحانه : ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به ۞ إن علينا جمعه وقرآنه﴾ (٥) ، ودليل ذلك واضح ألا وهو وجود القرآن الكريم بين أيدينا الآن لا تغيير فيه ولا تبديل .... وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

رابعاً : لقد سمعه أهل الكتاب من اليهود وغيرهم ، وقد كانوا يتلمسون سقطات وزلات في أصل الوحي ، ولو وجدوا ذلك ما سكتوا ، بذلك تحقق له من الحفظ والعناية والرعاية ما لم يتحقق لغيره مع ما جاء به من أصول الدعوات الإلهية السابقة ، التي حافظ عليها واحتواها ، وخاطبهم من خلالها .... فكان القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الذي حافظ على ثوابت الدين الإلهي ، وحجة قاهرة على غيره ، قائم بالحق ، وللحق يهدي ، ولولاه ما عرف الدين الحق .

---

(١) سورة الطور : الآية (٣٤) .
(٢) سورة هود : من الآية (١٣) .
(٣) سورة البقرة : الآيتان (٢٣ – ٢٤) .
(٤) سورة الحجر : الآية (٩) .
(٥) سورة القيامة : الآيتان (١٦ – ١٧) .

الدين

لفظه .... ومعناه :

(دين) – هذا اللفظ – من أكبر الألفاظ ثراء بالمعاني والمدلولات في اللغة العربية ، والباحث في هذه اللفظة يرى أن مدلولاتها تزيد على العشرين ، بالإضافة إلى أن الكثير من هذه المعاني والمدلولات متناقضة ، منها على سبيل المثال : التذلل والخضوع ، والإحسان والإكراه ، والقهر والسلطان ، والعز والذل ، والتدبير ، والمحاسبة ، والتسخير ، والجزاء والحساب ، والمكافأة .... الخ (١) .

هذه المعاني للفظة (دين) جرى استعمالها في اللغة العربية على أربعة مقاصد :

١- دين بمعنى الخضوع ، والذل ، والطاعة ، تقول : دان له أطاعه وخضع له ، والفعل هنا متعدي باللام .

٢- دين بمعنى الجزاء والحساب والمكافأة (دان به) ، قال الزمخشري في أساس البلاغة : دنته بما صنع : جزيته ، ومنه يوم الدين ، والفعل هنا متعدى بالباء .

٣- دين بمعنى الملك والتحكم والسيطرة ، تقول : دانه ديناً ، ودان الناس : أي قهرهم على الطاعة ، والفعل هنا متعدي بنفسه .

٤- ودين بمعنى الاعتقاد والولاء ، تقول : دان بالشيء معناه اتخذه ديناً ومذهبا ، وعلى هذا فالدين هنا هو الطريقة التي يسير عليها الإنسان

فالدين في اللغة لفظ مشترك بين عدة معان ، قال ثعلب : دان الرجل إذا أطاع ودان إذا عصى ، ودان إذا عز ، ودان إذا ذل ، ودان إذا قهر ، فهو من الاضداد ويطلق الدين على العادة والشأن (٢) .

والمراد بالدين في الاصطلاح : وضع إلهي شرع لإسعاد الناس في دنياهم وأخراهم والمراد بالوضع الإلهي أنه ليس من وضع البشر ... إنه من وضع الله – عز وجل – وهذا ما نبه إليه القرآن الكريم فيما يتعلق بآدم (عليه السلام) حينما أهبطه الله تعالى على الأرض ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (٣) .

---

(١) المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية – مادة (دين) .
(٢) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن – القرطبي ١/١٤٤ .
(٣) سورة طه : الآيتان (١٢٣ ، ١٢٤) .

والمراد بإسعاد الناس في دنياهم وأخراهم : توفية مطالبهم المادية والروحية بحيث لا يضلون ولا يشقون في الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١) .

هذا الوضع الإلهي جعله الله – تعالى – لآدم (عليه السلام) ولذريته من بعده ، بلغ ذلك الأنبياء والرسل حتى انتهى البلاغ بالنبي الخاتم سيدنا محمد (ﷺ) ، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۞ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٢) .

فالدين في حقيقته واحد لا يتعدد باعتبار وحدة مصدره وهو الله – عز وجل – وباعتبار اسمه وهو الإسلام حيث قال الحق سبحانه : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٣) ، وباعتبار الرسل – صلوات الله عليهم أجمعين – قال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٤) ، وباعتبار مشرع الشرائع قال عز شأنه :﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (٥) .

والمتأمل في قول الله تعالى : ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٦) يجد لفظة ملة ، والملة كما ذكر الراغب الأصفهاني : لا تضاف إلا إلى النبي (عليه الصلاة والسلام) ، التي تستند إليه نحو ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (٧) ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ (٨) ، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله – عز وجل – ولا إلى أحاد أمة النبي (ﷺ) ، ولا

---

(١) سورة النحل : الآية (٩٧) .
(٢) سورة النساء : الآيات (١٦٣ – ١٦٥) .
(٣) سورة الحج : من الآية (٧٨) .
(٤) سورة الإسراء : من الآية (١٥) .
(٥) سورة المائدة : من الآية (٤٨) .
(٦) سورة الحج : من الآية (٧٨) .
(٧) سورة النحل : من الآية (١٢٣) .
(٨) سورة يوسف : من الآية (٣٨) .

تستعمل إلا في جملة الشرائع دون أحادها ، فلا يقال : ملة الله ، ولا يقال : ملتي ، كما يقال : ديني ، ودينك . ولا يقال للصلاة : ملة الله ... (١) .

فالملة : تضاف إلى من أوحيت إليه .

والدين : يضاف إلى من يعتنقه ويؤمن به .

وعلى هذا فأحكام التوراة ، ملة هي ملة موسى ، وأحكام الإنجيل ملة هي ملة عيسى (ﷺ) لأنها مجموعة الشرائع التي حملها موسى وعيسى (عليهما السلام) .... وأحكام القرآن ملة هي ملة محمد (ﷺ) وفي ضوء هذا نرى قول الله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (٢) .

قال أبو هلال العسكري : الملة : اسم لجملة الشرائع ، والدين : اسم لما عليه كل واحد من أهل الشرائع .

وعلى هذا : فدين الله واحد وهو الإسلام ، ولكل نبي ملة هي شريعة الله الخاصة بقومه ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٣) .

فنحن نؤمن بأن دين الله تعالى هو الإسلام ..... وملة سيدنا محمد (ﷺ) هي شريعته الغراء .... فلكل نبي شريعة ، ودين الله واحد ، وجملة الشرائع ملة .... والدين باعتبار الشريعة والرسل يمكن أن يتعدد باعتبار الرسل الذين حملوه ، والأقوام الذين كلفوا به ، وهنا يمكن جمع الدين على أديان ، وهي كلها تتحد في الأصول التي جاءت بها الرسائل الإلهية ، وتختلف في بعض الفروع التي تتناسب مع ظروف الزمان والمكان .ويجب أن نذكر ما قاله الراغب الأصفهاني إذ من خلال قوله تتحد الأديان .... لقد قال : "الملة كالدين وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتواصلوا به إلى جوار الله" (٤) ، فإذا كانت الملة كالدين ، فإن ملل الأنبياء (أي شرائعهم) كثيرة ، ويكفي أولوا العزم من الرسل .

---

(١) المفردات: الأصفهاني /٤٧٢، ٤٧٣ .
(٢) سورة الشورى : الآية (١٣) .
(٣) سورة المائدة : الآية (٤٨) .
(٤) المفردات /٤٧٢ .

والشريعة من الله – تعالى – ومن ثم فلا حرج بأن تتعدد الأديان حسب الشرائع والرسل ويتحدد الدين حسب المشرع – ألا وهو الله (ﷻ) – بذلك يزول الخلاف بين الدين المنسوب إلى الله (ﷻ) والأديان التي بمعنى الملة المنسوبة إلى الرسل من خلال شرائعهم المنزلة عليهم ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١) ، وقال سبحانه آمراً النبي (ﷺ) وأمته أن يؤمنوا بما أنزل الله على كل الرسل السابقين ، قال تعالى : ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢) ، وقال سبحانه : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣) .

فالشرائع الإلهية السابقة ما هي إلا لبنات في بناء هذا الدين الذي هو الإسلام ، ذلك أن الشرائع إلهية ... ، والدين إلهي ، لكن الشرائع تنسب إلى المبلغين عن الله شرعه ألا وهم الرسل ، أما الدين فليس دين أحد إنما الدين لله رب العالمين ... فالشرائع السابقة باعتبارها ملة والملة دين كانت خاصة بأقوامها ، وينتهي العمل بها عند مجيء نبي آخر ، وبمجيء النبي الخاتم (ﷺ) ومن خلال شريعته الخاتمة أتم الله – عز وجل – الدين ، قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٤) ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٥) ، وقال عز شأنه : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦) ، ذلك أن دين الإسلام هو دين الله العام الذي لا يخص أقواماً بأعيانهم .... فلا دين غيره ... وبشريعة النبي الخاتم (ﷺ) أتم الله عز وجل الدين .... ومن ثم خاطب الله – عز وجل – أهل الكتاب والأميين وغيرهم بقوله جل شأنه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٨١) .
(٢) سورة آل عمران : الآية (٨٤) .
(٣) سورة البقرة : الآية (١٣٦) .
(٤) سورة المائدة : من الآية (٣) .
(٥) سورة آل عمران : من الآية (١٩) .
(٦) سورة آل عمران من الآية (٨٥) .

أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ (١) . وقال جل شأنه : ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾ (٢) ، وعن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" (٣) .

وحدة الدين :

بينا أن دين الله – تعالى – واحد ، وأنه لا تعدد في دين الله ، فالله – عز وجل – واحد ، ودينه واحد ، ولقد بين ذلك القرآن الكريم – كتاب الله تعالى الخاتم – من محاور عدة وافقت العقل الإنساني ، وأثبت ما فقدته الكتب الإلهية السابقة ، وصار القرآن الكريم هو الدليل الأوحد لإثبات ما فقد ، وتأييد ما أثبت .... أو نفيه ... إذ ما جاء في الكتب الإلهية لا تعارض فيها ولا اختلاف ، لأن المشرع واحد ... وما علينا إلا أن نفهم ولا نصادر أحكاماً ... ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (٤) ، وقال سبحانه : ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (٥) ومن ثم لا يجوز لنا أن نتخذ من الخلاف أو الاختلاف عداوة ، إذ لكل وجهة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ۞ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ (٦) ، وقال سبحانه مخاطباً النبي الخاتم (ﷺ) : ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ۞ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ (٧) ، ومع هذا فلن يخرج المخلوق عن مراد خالقه ....!! وإلا فأين قدرة الخالق فيمن خلق ؟ وأين مراده منه ؟ وهل في قدرة المخلوق مخالفة الخالق ؟ وفي أي شيء تكون المخالفة ؟ هل في مخالفة الأمر ؟ أم في خلافه ؟ لقد أجاب الحق سبحانه عن كل هذا بقوله سبحانه : ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان (١٩ ، ٢٠) .
(٢) سورة الأحزاب : الآية (٤٠) .
(٣) صحيح مسلم ٦٤/٧ ، ٦٥ .
(٤) سورة الكهف : من الآية (٢٩) .
(٥) سورة الإسراء : الآية (١٥) .
(٦) سورة يونس : الآيتان (٩٩ ، ١٠٠) .
(٧) سورة يوسف : الآيتان (١٠٤ ، ١٠٥) .

وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (١) . وقال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ (٢) ، ويقول جل شأنه : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۞ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٣) ، ومعنى "وَاصِباً" دائماً ، فالله – عز وجل – له الدين الدائم الذي لا يتغير ولا يتبدل انطلاقا بالمسمى (الدين هو الإسلام) وانتهاء بالعبودية الكاملة حيث يكون التوجه بلا مرية لمن له الدين وهو الله – عز وجل – الخالق الأعلى ، بذلك لا يستطيع الإنسان مخالفة خالقه ، ولو خالفه ظاهرا ..... ففي مخالفته هذه حجة عليه ، حيث أعطاه الله – عز وجل – حرية الاختيار ، وجعلها شاهدة عليه ، إذ هو مسئول عن فعله وسلوكه ، ومع ذلك فهو لا يخرج عن أمر الله – تعالى – الكائن في حكمة الخلق وحقيقته ، ومن ثم فإن الإسلام دين اختاره الله – تعالى – لجميع المخلوقات من إنس وجن وحتى الملائكة وطلب منهم أن يدينوا له به ، لأنه الدين الذي أرسل به رسله ، وأمرهم بتبليغه ... ومن دان بغيره فلا دين له ، ومردود عليه .

الدين بين الوحدة والتعدد :

بينا فيما سبق أن الله – عز وجل – واحد ، ودينه واحد ، وشريعته التي هي الملة مصدرها واحد ، جاءت موافقة للزمان ، والمكان ، ووفق المخاطبين بها من خلال النبي المرسل بتبليغها إليه وإلى قومه ، بذلك تعددت الشرائع لإقامة الدين الواحد ، الذي ارتضاه الله – تعالى – للعالمين ، مع تعدد الأمم واختلافها وإن كان أصل التعدد والاختلاف واحدا ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (٤) ، ومن سر بيان التعدد والخلاف والاختلاف ما جاء في قوله سبحانه : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٥) وقال سبحانه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (٦) من هذا ومن غيره نرى الدين ينقسم إلى قسمين :

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٨٣) .
(٢) سورة الرعد : الآية (١٥) .
(٣) سورة النحل : الآيتان : (٥١ ، ٥٢) .
(٤) سورة النساء : الآية (١) .
(٥) سورة هود : الآيتان (١١٨ ، ١١٩) .
(٦) سورة الروم : الآية (٢٢) .

أولاً : الدين الإلهي . **ثانياً** : الدين الوضعي .

ومن خلال بياننا للدين الإلهي ، يعرف الدين الوضعي إذ هو نقيض الدين الإلهي ، وهاهو البيان :

الدين الإلهي : هو وضع إلهي اعتقادي أمر بتبليغه الأنبياء والرسل بطريق الوحي الإلهي للمكلفين للفوز بالسعادة في العاجل والآجل ودفعاً للحجة .

من هذا التعريف نرى أن الدين الإلهي صادر عن الله – عز وجل – وطريقه في تولي البلاغ هم الأنبياء والرسل ، وسبيل بلاغه للأنبياء والرسل وحي الله تعالى ، سماه الله – عز وجل – الإسلام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (١) ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

أركان الدين :

من هذا التعريف نستطيع أن نقول بأن أركان الدين أربعة :

١ – **المصدر** : وهو الله – عز وجل – ، قال تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ (٣) .

٢ – **الوحي** : وهو سبيل بلاغ الله – تعالى – للأنبياء والرسل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (٤) .

٣ – **الموحى به** : وهو ما نزل به جبريل (الوحي) على النبي ، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥) .

٤ – **الموحى إليه بالبلاغ** : وهم الرسل والأنبياء ، وفي ذلك يقول المولى – عز وجل – : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة آل عمران : من الآية (١٩) .
(٢) سورة آل عمران : الآية (٨٥) .
(٣) سورة آل عمران : الآيتان (٢ ، ٣)
(٤) سورة الشورى : الآية (٥١) .
(٥) سورة الفرقان : الآية (١) .
(٦) سورة الشورى : الآيتان (٥٢ ، ٥٣) .

هذه هي الأركان التي يبنى عليها الدين الإلهي مع مراعاة ضرورة اختلاف الشرائع الإلهية التي تحوي مفهوم الملة .... ، ومن ثم فكل دين لا يشمل هذه الأركان الأربعة يعد دينا وضعيا من اختراع العقل البشري ووضعه ، وفي هذا يقول القرآن الكريم في سورة الكافرون : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ إذن الدين الحق واحد ، والدين الباطل واحد ، لأن الحق لذات الحق واحد ، والباطل لذات الباطل واحد ، فلا تعدد للباطل ، كما أن لا تعدد للحق ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) ويقول القرآن في حزب الله – تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) ، فالحق واحد من ناحية الجهة – إلى الله تعالى – ، والباطل واحد من ناحية الجهة – إلى الشيطان لعنه الله تعالى – ، ولكل شريعة .....إلهية ..... ووضعية .

أسباب اختلاف الشرائع مع الوحدة في الدين الإلهي الحق :

لقد جاءت رسل الله – تعالى – بالدين الذي ارتضاه الله – الإسلام – ، ودين الله – تعالى – في أصوله واحد في جميع الأعصار ، ولكن حكمة الله – تعالى – اقتضت في اختلاف الشرائع ، ليختبر عباده هل يذعنون ويعتقدون أن اختلاف الشرائع بمقتضى الحكمة الإلهية ، وذلك كما جاء في قول الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٣) ، ذلك أن شرع الله – تعالى – ورحمته بالأمم السابقة ، وبرسلهم ، ومن المعلوم كما بينا سابقا أن الشريعة نسبها الله – تعالى – للرسول المرسل بها إلى قومه ، قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة المجادلة : الآية (١٩) .
(٢) سورة المجادلة : الآية (٢٢) .
(٣) سورة المائدة : من الآية (٤٨) .
(٤) سورة الشورى : من الآية (١٣) .

ولقد ورد في كتب اللغة أن الشريعة : ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام ، والطريقة ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ (١) ، والشرعة تعني : الطريق والمذهب المستقيم ، وفي التنزيل : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٢) ، ولو تأملنا كلمة (ملة) نرى أن من معانيها الشريعة أو الدين ، كملة الإسلام والنصرانية ، وهي اسم لما شرع الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتواصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (٣) .

فالدين إذا أطلق نسب إلى الله – عز وجل – لذا قيل : دين الله ، وإذا قيد فإنه الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ، أما الشريعة إذا أطلقت فإنها تعني العقائد ، والأحكام ، والطريقة ، وإذا قيدت فإنها تعني الملة المنسوبة للنبي ولقومه ، فيقال : ملة إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد – صلوات الله عليهم أجمعين – ، أما الدين فهو الإسلام دين الأنبياء جميعا .

فكلمة (دين) إذا أفردت فإنها ترجع إلى دين الله – تعالى – الإسلام . وإذ جمعت كلمة (دين) فإنها (أديان) حينئذ يرجع المعنى إلى الشريعة التي بمعنى الملة .... إذ الشرائع أنظمة وقوانين ، تجري حسب الظروف والأزمان ، لمطابقة الواقع في سير الحوادث وتطوراتها كما شاءت الحكمة في سنن الكون واحتياج الإنسان لتلك الأنظمة ، مراعاة للمصالح العامة ، وحفظ نظام الكون ، وضمان سعادة بني الإنسان ، إلى أن أكمل الله دينه بسيدنا محمد (ﷺ) فكانت شريعته كالختم لتلك الشرائع كلها ، وجامعة لكل قديم وحديث ، صالحة لكل عصر وجيل ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (٥) .

القرآن الكريم ووحدة المصدر :

لقد أثبت القرآن الكريم من خلال آياته أن مصدر جميع الرسالات الإلهية لأنبياء الله تعالى هو الوحي الإلهي من عند الله – عز وجل – وهذا واضح وجلي من خلال قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ

---

(١) سورة الجاثية : من الآية (١٨) .
(٢) المعجم الوسيط ٤٩٨/١ مادة (شرع) والآية (٤٨) من سورة المائدة .
(٣) المعجم الوسيط ٩٢٢/٢ مادة (ملل) والآية (١٣) من سورة إبراهيم .
(٤) سورة المائدة : من الآية (١٩) .
(٥) سورة الفتح : من الآية (٢٨) .

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (١) .

لقد تلقى هؤلاء الأنبياء وغيرهم الوحي من الله – عز وجل – ومن ثم صار قولهم معصوماً ، فما جاء واحد منهم بشيء من عنده ، ولقد أقر الأنبياء بذلك ، فقال جل شأنه : ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢) .

ففي الآية الكريمة إقرار تام ببشرية الأنبياء والرسل ، واعتراف بفضل الله تعالى على بعض خلقه حين الاختيار لأداء الرسالة ، وتبليغ الدعوة ، وعصمتهم بالوحي الإلهي ، قال تعالى ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٣) ، وقد جعل الله – تعالى – تمام رسالاته ، وخص بها أكرم خلقه ، وأفضلهم ، سيدنا محمد (ﷺ) ، قال تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٤) ، فمن خلال وحدة المصدر – وحي الله عز وجل – أعلن الله – عز وجل – أن باب الرسالات الإلهية أوصد ، فلا نبي بعد النبي الخاتم سيدنا محمد (ﷺ) .

وفي ضوء هذا البيان نستطيع أن نقول بأن القرآن الكريم وحي الله – تعالى – المتحدي به ، بعيد التناول لأنه معجز ، تولى الله – تعالى – حفظه ، وأظهر من خلاله أصول الدعوات الإلهية السابقة ، فمن ادعى النبوة بعد النبي الخاتم سيدنا محمد (ﷺ) فعليه بمواجهة القرآن الكريم ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٥) .... والناس في كل عصر ، بل وفي كل جيل بعد النبي (ﷺ) يرون معجزته رأي العيان ، كمن شاهدوا النبي (ﷺ) وخاطبوه ، وإن كان لهؤلاء الصحابة – رضوان الله عليهم – فضل المصاحبة وفضل العلم ، فقد جاء من مشافهة النبي (ﷺ) والتحدث إليهم من خلال كتابه المنزل ، والتحدث عليه ، وهو مصدر الهدى والنور والعرفان ... وإذا كانت الأجيال كلها ترى هذه المعجزة وتفهمها ، وتطلب ما فيها من معاني وأسرار إلهية ، فهي بذلك حجة الله الفاتحة عليها ، وإن ابتعدت وضلت وركبت هواها عن عمى .... فإنها ضلت بنفسها ، لا عن

---

(١) سورة النساء : الآية (١٦٣) .
(٢) سورة إبراهيم : الآية (١١) .
(٣) سورة الأنعام : من الآية (١٢٤) .
(٤) سورة الأحزاب : الآية (٤٠) .
(٥) سورة البقرة : الآية (٢٤) .

نقص في البينات ... ولا فهم للمخاطبات ، بل قد جاء تعمداً وبعداً عن آيات الله البينات .

القرآن الكريم ووحدة الموضوع والغاية :

القرآن الكريم من خلال آياته بين بوضوح جلي موضوعية رسالة الأنبياء والرسل جميعاً ، فنرى في سورة الشعراء – على سبيل المثال – وحدة الموضوعية ، وذلك كما جاء في قول الله – تعالى – : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (١) .

وفي عاد يقول القرآن الكريم : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وفي ثمود يقول القرآن الكريم : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

وفي قوم لوط يقول القرآن الكريم : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

وفي أصحاب الأيكة يقول القرآن الكريم : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) .

وفي السورة ذاتها قبل هذه الآيات يقول الله تعالى مخاطباً النبي (ﷺ) فيما يتعلق بسيدنا إبراهيم (عليه السلام) وما دار بينه وبين قومه ، وقد جاء الخطاب بأسلوب حواري ، وفيه يقول الله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ

---

(١) الآيات : (١٠٥ – ١١٠) .
(٢) الآيات : (١٢٣ – ١٢٧) .
(٣) الآيات : (١٤١ – ١٤٥) .
(٤) الآيات : (١٦٠ – ١٦٤) .
(٥) الآيات : (١٧٦ – ١٨٠) .

۞ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۞ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۞ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۞ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۞ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۞ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۞ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۞ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١) .

وفي موسى (عليه السلام) وفرعون يقول القرآن الكريم : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ (٢) ثم يقول القرآن الكريم مخبراً عن قول فرعون ، فيقول سبحانه : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ (٣) .

وفي عيسى (عليه السلام) يقول القرآن الكريم : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٤) .

إن الوحدة الموضوعية التي جاء بها الأنبياء والرسل – صلوات الله عليهم أجمعين – إلى المكلفين من خلق الله تعالى ، مدراها ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٥) ، وفي قوله جل شأنه : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٦) .

فالتوحيد أساس الرسالات الإلهية ، ومدار دعوات الأنبياء والرسل ، ومن ثم لم تأت الدعوة الخاتمة بشيء يخالف الفطرة السليمة ... فطرة الله التي فطر الناس عليها .

لقد جاء دين الله تعالى موضحاً العقيدة السليمة الصحيحة ، والإيمان بالله وحده لا شريك له ، ولا رباً سواه ، جاء في وصفه وإثباته مطابقاً لمقتضى الفطرة والعقل السليم تمام المطابقة ، وتأمل قول الله – تعالى – في وحدانيته : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا

---

(١) الآيات : (٦٩ – ٨٢) .
(٢) الآيتان : (١٠ – ١١) .
(٣) الآيتان : (٢٣ ، ٢٤) .
(٤) سورة الزخرف : الآيتان (٦٣ ، ٦٤) .
(٥) سورة الأنبياء : الآية (٢٥) .
(٦) سورة الزخرف : الآية (٤٥) .